

من تراث الفكر السياسي الإسلامي

مخبر السلوك في تدبير الملوك

للأبي الفضل محمد بن الأعرج

ينشر لأول مرة على نسخة خزانة بيد المؤلف

تحقيق ودراسة

دكتور

فؤاد عبد المنعم

خبير البحوث الإسلامية برئاسة المحاكم الشرعية

دولة قطر

الناشر

مؤسسة شباب الجامعة
للطباعة والنشر والتوزيع
ت ٣٩٤٧٢ بالإسكندرية

من تراش افكر لسياسى الاسلامى



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من آيات الحكم فى الإسلام

« ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها ، و اذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ان الله نعمًا يعظكم به ، ان الله كان سميعا بصيرا • يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ، وأولى الأمر منكم ، فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير لكم وأحسن تأويلا »

(النساء : ٥٨ - ٥٩)

« ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون »

(النحل : الآية ٩٠)

«الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور »

(الحج : ٤١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

الحمد لله رب العالمين المنقذ من الضلال ، والمرشد الى الحق ، الهادى من
يشاء الى صراطه المستقيم .

والصلاة والسلام على رسوله الأمين المبعوث بالهدى والشرع الخاتم
رحمة للعالمين .

والصلاة على آله وأصحابه والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين

وبعد :

تبين لنا أثناء تحضيرنا لرسالة الدكتوراه فى الفقه السياسى الاسلامى
المقارن (١) منذ قرابة عشرين عاما أن الكثير من كتب الفقه السياسى الاسلامى
مخطوطة ومبعثرة بين الشرق والغرب ، وعول كبار علمائنا على القليل المنشور
وهو لا يغنى عن الكثير المدفون ، وقرروا : أن الفقه السياسى الاسلامى ما زال
فى مرحلة الطفولة يحبوا ثم يكتبوا ، وأنه فى عالمنا المعاصر يعانى أزمة (٢)
وذهب بعضهم انه لا سياسة فى الاسلام وأن الاسلام دين لا دولة ، وعقيدة

-
- (١) موضوع : مبدأ المساواة فى الاسلام - بحث من الناحية الدستورية -
مع المقارنة بالديمقراطية الغربية والنظام الماركسى .
(٢) استاذنا الجليل الدكتور عبد الحميد متولى فى تقديمه لكتابه الكبير
فى مبادئ نظام الحكم فى الاسلام مع مقارنة بالمبادئ الدستورية الحديثة ،
سنة ١٩٦٦ ، وأزمة الفكر السياسى الاسلامى ، طبعة ١٩٧٠م

دون نظام أو شريعة ، وتصدى علماء الاسلام فى كل مكان وكشفوا زيف هذه المقالة وبهتانها ، واستقرت الحقيقة التى أعلنها علماء الاسلام طوال أربعة عشر قرنا بأن الاسلام منهج حياة ، وأنه عقيدة وشريعة ومبادئ لكافة مجالات الحياة الانسانية . وأن الدولة خادمة للدين ، وأنه لا يخرج عن ضوابط الشرع الاسلامى الا من يجهل مزاياه ومقاصده ، وانه ما من مزية أو حسنة فى نظام ما الا فى الشرع الاسلامى مثلها أو خير منها(١) . وان فقه السياسة فى الاسلام يستمد ذاتيته وأصالته من كتاب الله الكريم ، وسنة نبيه الأمين ، واستقراء التجربة الرائدة فى عصر الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين ، وقد كشف فقهاؤنا عن ذلك فى مؤلفاتهم(٢) .

وقد وفقنا الله تبارك وتعالى - والله الحمد والمنة - على اخراج بعض هذه المصادر ، ففقنا « غياث الامم فى التيات الظلم » لامام الحرمين : أبو المعالى الجوينى المتوفى ٤٧٨هـ وكتاب « الشفاء فى مواعظ الملوك والخلفاء » لابن الجوزى المتوفى ٥٩٧هـ ، وكتاب « تحرير الاحكام فى تدبير أهل الاسلام » للامام ابن جماعة المتوفى ٧٣٣هـ .

ونقدم اليوم كتاب « تحرير السلوك فى تدبير الملوك » لأبى الفضل محمد ابن الأعرج من علماء القرن العاشر الهجرى .

ونعرض لدراسة ومقدمة عن المؤلف والكتاب .

(١) غياث الامم لامام الحرمين - الجوينى - ١٧٠
(٢) راجع تقديم كتاب «التحفة المملوكية فى الآداب السياسية» المنسوب للماوردى ص ٥ - ٢٢ .

« ١ »

مقدمة المؤلف

أبو الفضل محمد بن الأعرج

اعتمدنا في الترجمة للمؤلف على المصادر المعاصرة وعلى الرغم من ذلك
فليس بين أيدينا كثير معلومات عن أبي الفضل محمد بن الأعرج .

فقد أرخ له السخاوى في الضوء اللامع ولم يبين تاريخ ولادته ولم يذكر
وفاته لكونه كان حيا وقت تأليف السخاوى لكتابه وعاش بعد السخاوى مدة .

معالم حياته

★ هو محمد بن عبد الوهاب بن عبد اللطيف بن علي بن عبد الكافي السنباطي
القاهري ، ويكنى أبا الفضل ، ويلقب بالكاتب الأعرج (١) ، ويبدو أن ذلك
لعلة جسدية فيه .

★ كان أبو الفضل من أسرة شغلها طلب الرزق عن العلم ، فوالده كان يشتغل
بالتجارة وان لم تحدد المصادر نوع هذه التجارة ، وان كان بعض أفراد
أسرته اشتغل ببيع الكتب (٢)

★ ونشأ أبو الفضل في حفظ القرآن الكريم ، وانتمى إلى المذهب الشافعي .

★ وجود الخط على يد استاذه يس بن محمد بن مخلوف الذي كان حسن

(١) الضوء اللامع ١١ : ١٢٩

(٢) الضوء اللامع ٩ : ٩٢ ، ٩٣

العقل والخلق (١) ، ويبدو لنا أن هذه الصفات القلت بظلالها على تلميذه
أبي الفضل .

★ برع أبو الفضل في الكتابة وتكسب بالنساخته ، كما تصدى لتعليم الخط
في المدرسة الاشرفية ، ووصفه ابن ابياس - وهو معاصر له - بأنه الكاتب
المجيد ، وله خط جيد (٢) .

★ ومات أبو الفضل فجأة على حين غفلة في يوم الإثنين الموافق ٢٨ ذى القعدة
سنة ٩٢٥ هـ (٣) .

مؤلفاته

لم تذكر المصادر التي بين أيدينا كتبه ولكن المؤلف أشار في الكتاب
المحقق الى أنه له :

- غرر الفوائد في منشور الفوائد «نثر» .
- وله شعر بعنوان « درر الفوائد في منظوم الفوائد » .
- لم نتف على نسخ منها ولا نعرف مضمونها وهي كتب سابقة على كتابه .
- « تحرير السلوك في تدبير الملوك » .

(١) الضوء اللامع ١٠ : ٢١٣

(٢) بدائع الزهور في وقائع الدهور ٥ : ٣١٤

(٣) بدائع الزهور في وقائع الدهور ٥ : ٣١٤

الكتاب

المخطوطة التي بين أيدينا تحمل عنواناً « السلوك في تدبير الملوك » وهي مخطوطة خزائنية كتبت للسلطان الملك الأشرف قانصوه الغوري (١) المتوفى ٩٢٢هـ (انظر اللوحة رقم ١) .

وقد أغفل حاجي خليفة الإشارة إليها ، واستدركها عليه البغدادي في إيضاح المكنون وقال : موجود في دار الكتب بآيا صوفيا (٢) ولم يذكر اسم مؤلفها .

وقد صورها معهد المخطوطات العربية وحملت رقم ٣٥ سياسة واجتماع في فهرسه ، وانها مجهولة المؤلف ، وانها بخط مشرقى نسخ جميل .

والمخطوطة تقع في ١١٢ ورقة ، كل ورقة سبع اسطر ، ومتوسط الكلمات في السطر الواحد حوالي ست كلمات . وثابت في الصفحة (٢ أ) بداية الكتاب « بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي فضل ملوك الأمة المحمدية . . . » .

(١) هو قانصوه بن عبد الله الظاهري الأشرفي (نسبة الى الأشرف قايتباي) الغوري ، ويكنى أبا النصر ، الملقب بالملك الأشرف ، ولد سنة ٨٥٠هـ ، بويج بسلطنة مصر بقلعة الجبل في القاهرة سنة ٩٠٥هـ ، مات قهرا ، وضاعت جنته تحت سنايك الخيل في «مرج دابق» معركة مع السلطان سليم العثماني في سنة ٩٢٢هـ . انظر في مصادر ترجمته : بدائع الزهور لابن اياس ٣ : ٥٨ وما بعدها ، واعلام النبلاء للطباخ ٣ : ١١٢ - ١٦٤ ، ٥ : ٣٩٠ ، والبدر الطالع ٢ : ٥٥ ، وشذرات الذهب ٨ : ٢٣ ، ١١٣ ، ١٤٤ ، والاعلام للزركلي ٢٣ : ٦

(٢) إيضاح المكنون ٤ : ٣٢

وعلى هامش هذه الصفحة الجملة التالية : « اوقف هذه النسخة ، سلطاننا الأعظم والخاتان المعظم مالك البرين والبحرين ، خادم الحرمين الشريفين ، السلطان بن السلطان بن السلطان الغازى محمود خان (١) ، وقفنا صحيحا شرعيا ، حرره الفقير أحمد شيخ زاد المفتش بأوقاف الحرمين الشريفين غفر لهما » . ومسبوقه بختم السلطان المصدر بقوله تعالى (الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله) (الأعراف : الآية ١٣) ومذيل بختم تضمن فيما يبدو لنا توقيع مفتش الحرمين (بالخط التركى) (انظر اللوحة رقم ٢) .

وثابت فى الورقة (١٢ ب) (كتبه أبو الفضل محمد الأعرج غفر الله له ولوالديه ولكافة المسلمين أجمعين) (انظر اللوحة رقم ٣) .

فالمخطوطة التى بين أيدينا أصيلة بيد مؤلفها ، صاحب الخط الجيد ، وقع رفعها الى مكتبة السلطان الملك الأشرف : قانصوه الغورى .

وقد كتبت بعد تولى السلطان قانصوه الملك أى بعد سنة ٩٠٥ هـ وقبل وفاته فى ٩٢٢ هـ .

(١) هو السلطان محمود خان بن السلطان عبد الحميد ، ولد سنة الف ومائة وتسع وتسعين وتولى السلطنة فى سنة ١٢٢٠ هـ ، وتوفى سنة ١٢٥٥ هـ .
حيلة البشر فى تاريخ القرن الثالث عشر ٣ : ١٤٥٦ - ١٤٦٧

أهمية الكتاب

تبدو أهمية « تحرير السلوك في تدبير الملوك » أنه كتب الى حاكم عم ظلمه وانتشر الفساد في عصره ، حتى صادر أموال الناس والغنى الميراث (١) فكان واجب العلماء في عصره نصحه بالحق . فبين له أبو الفضل أن أساس الملك والحكم الصالح هو التمسك بحبل الشريعة الغراء والتزامها ، والاعتماد في أمره ونهيه على نقضها وإبرامها ، وإقامة حدود الله المانعة من ارتكاب الجرائم . . . واللازمة لحفظ النفوس وحراسة الأموال ، وأن يكون اجتلاب الأموال للدولة من مصادر مشروعة فلا تؤخذ الا بالحق والعدل ، وأن يختار الأكفاء والأمناء للمناصب الكبرى والولايات العامة ، وأن يكون لها جهازا يراقب مظاهر الخلل في الادارة وأن يراقب ويتابع الأمور بنفسه .

وان الحاكم عليه التخلي عن الرذائل من الكبر والعجب والغرور والشح ويتحلى بالفضائل بأن لا يسارع الى اتباع الشهوات وأن ينتهت عند اعتراض الشبهات ، والاستشارة في أمور العظيمة ممن يراه أهلا لها ويعمل بمقتضى ما هو أقرب الى نيل المطرب وأصوب في دفع المرهوب ، والا يكثر الشول دون الفعل .

فلا يتحدث بما يريد من المهمات قبل إبرامه ، وأن يشكر الله على نعمته بطاعته وتدبير أمور الرعية والولاية بالعدل والاحسان .

مصادر الكتاب

أشار المؤلف انه استعان في هذا الكتاب بمن سبقه في هذا الفن ، وتبين لنا أنه قد اعتمد على كتابين بصفة خاصة هما :

(١) البحر الطالع ٢ : ٥٥ ، وشذرات الذهب ٨ : ١١٤

● الاحكام السلطانية والولايات الدينية لأبى الحسن الماوردى المتوفى
سنة ٤٥٠ هـ .

● والعقد النريد للملك السعيد للوزير ابن طاحه المتوفى سنة ٦٥٢ هـ .
ونسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبل أعمالنا ، وأن يجعلها خالصة لوجهه
الكريم

المستشار الدكتور

الاسكندرية - شوال ١٤٠٢

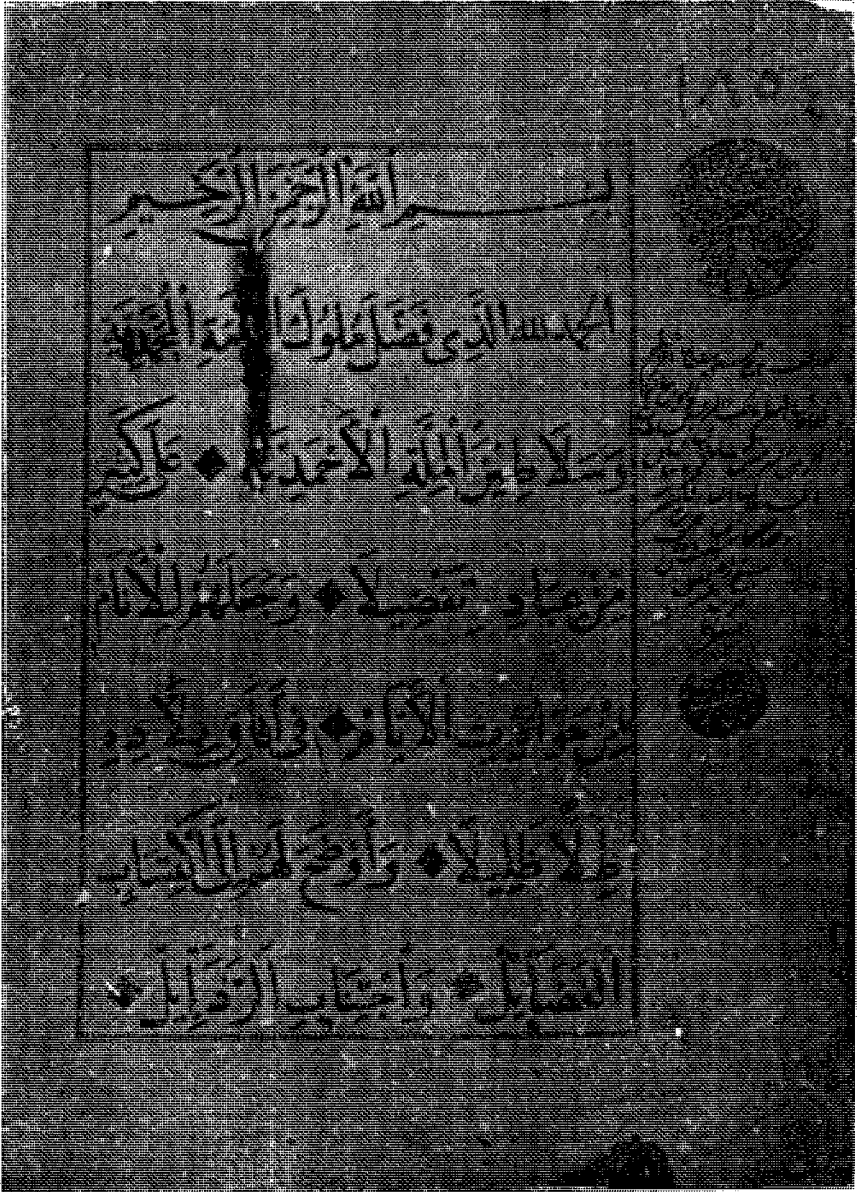
فؤاد عبد النعم احمد

(لوحة رقم ١)



(صفحة عنوان الكتاب)

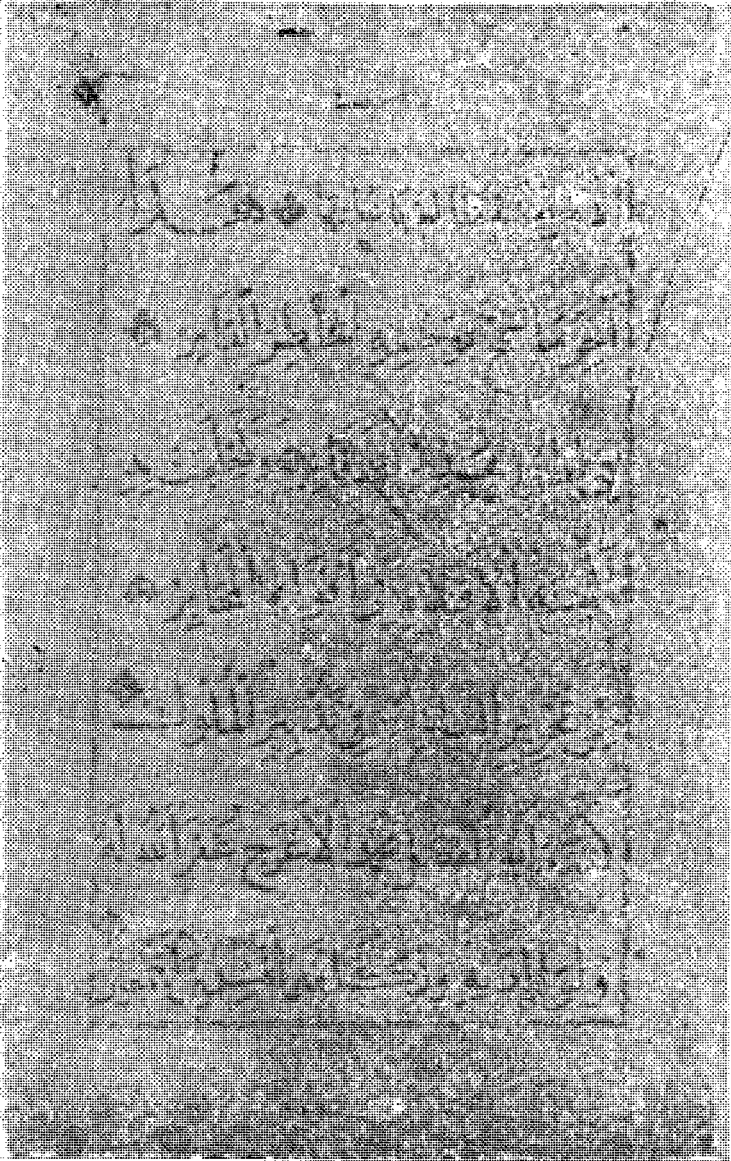
(لوحة رقم ٢)



(الصفحة رقم ٢ أ) وثابت عليها ختم السلطان

محمود خان بن السلطان عبد الحميد

(اللوحة رقم ٣)



(الورقة ١١٢ من المخطوطة وثابت عليها اسم المؤلف كتبه

أبو القضل محمد ابن الاعرج)

